

أنماط التعريف بالمصطلح الثقافي في كتاب (أوهام النخبة أو نقد
المثقف) لـ: (علي حرب)
Types of definition of the cultural term in Ali Harb's
book « illusions of the elites or the critique of the
intellectual »

د/مصطفى بوجملين

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة العربي بن مهيدي (أم البواقي) - الجزائر -

safosafio@hotmail.com

تاريخ النشر: 2018/11/17	تاريخ القبول: 2018/09/13	تاريخ الإرسال: 2018/07/21
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

شكّل المصطلح الثقافي بؤرة نقدية أساسية في الخطاب النقدي لدى (علي حرب)؛ ذلك أنه عرض أطره التعريفية الكبرى، وكذا إشكالاته المفهومية الغامضة الملتبسة؛ وخاصة في كتابه النقدي المعنون بـ: (أوهام النخبة أو نقد المثقف)؛ والذي ارتأينا عبره الكشف عن الأنماط التعريفية المختلفة للمصطلح الثقافي.

بهذا، فإننا سنعمد إلى الكشف عن جملة الكيفيات التعريفية الموظفة عنده؛ وذلك بهدف الإبانة عن تفاصيل استخدامها وتفعيلها عنده، وعليه، فإننا نطرح إشكاليتين أساسيتين مقتضاهما الآتي:
- ما أبرز الأنماط التعريفية بالمصطلح الثقافي في كتاب (أوهام النخبة أو نقد المثقف) لـ: (علي حرب)؟

- وما المصطلحات الثقافية المركزية في شواهد التعريفية؟

كلمات مفتاحية: أنماط - تعريف - مثقف - مفكر

Abstract:

The cultural term represents a main center of interest in Ali Harb's discourse because he exposes his large definitional frameworks, and his ambiguous conceptual problems, notably in his critical work entitled "elite illusions or criticism of the intellectual" that we have chosen as a body of support to unveil the different definitional types used to show their functioning, and for this I will discuss two essential problems:

- What are the main definitional types of the cultural term in Ali el-harb's book "elite illusions or criticism of the intellectual" ?
- And what are the central cultural terms in his definitional quotations ?

Key words: Patterns - Definition - Cultured - thinker



لقد ظلّ الإشكال المفهومي لمصطلح (الثقافة) حدثا نقديا متأزما ومضطربا ومتوترا داخل الخارطة النقدية العربية المعاصرة؛ حيث نمثل لذلك بما ساقه الناقد العراقي (محمد صابر عبيد) في مناقشته لمسألة (الثقافة)؛ إذ لم يجد مناصا من طرح التساؤل الاستفهامي التعجبي في شأنها لأنّه يرى في مسألة تطهيرها الهدف الذي ليس بالهين اليسير، وهذا ما يفهم من قوله: «إذا ماذا عسانا نقول في معنى الثقافة وقد اشتبكت فيه الخطوط وتعقدت المسارات على هذا النحو الذي يمكن الاطمئنان إلى نتائجه المتوقعة أو المحتملة بسهولة ويسر غير أن نضعف بذلك من طاقة الحيرة (...). ونحمل السؤال المائل في أفقنا عبئا مضافا، في السبيل إلى جدل آخر غير قابل للتهديئة»¹.

ولقد شكّلت الثقافة بحمولاتها التاريخية والمعرفية والدينية والعقائدية والأسطورية أرضية خصبة لدى المفكرين والمختصين في مجالات المعرفة المتعددة والمتباينة، فأفردت لها المصنّفات والأطاريح الأكاديمية والمقالات البحثية وذلك بغية أقلمة مفاهيمها وسبر حقيقتها المتماهية الطيفية.

ولا مرأى في أن يكون الناقد (علي حرب) أحد تلك الأقلام اللامعة في الصرح الفكري العربي الحديث؛ إذ تبوّأت كتاباته في فضاء التنظير الثقافي مكانا عليا، فقد توغّل أركيولوجيا داخل العقلانيات والذهنيات المنضوية تحت مظلة الثقافة، ومن ثمّ تلخيصه للالتباسات والتشوّهات التي ارتسمت في جداريات الأصناف المثقفة؛ وخاصة الطبقة المتعالية والتي شاعت باسم (الثقافة النخبوية)؛ حيث «فتح حرب، في وجه المثقف، باب النقد والمساءلة على مصراعيه، محاولا قراءة الجحريات والمتغيّرات التي تجري في العالم، وما أفرزته من قوى جديدة، مؤثرة وفاعلة تستوجب التأمل والمراجعة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى حاول تشخيص المشكلة في ما طرحه

المثقفون من مشاريع وأفكار، وما حملوه من عناوين وشعارات أرادوا بها تغيير وجه العالم. هذا العالم الذي أخذ يتغير بوتيرة سريعة، خلافا لما تصوّره المثقفون، وفي غفلة منهم استحالت سباتا فكريا وعميقا»².

ومن هنا، فإننا نختارنا أحد كتبه الجريئة والحمومة في هذا المجال، والمعنون ب(أوهام النخبة أو نقد المثقف)، وذلك لتبيان أنماط التعريف بالمصطلحات المصطنعة ل(المثقف)؛ وكذا الوقوف على تلك التعليقات النقدية الساخرة من الذهنيات التي سوّقت لذاتها فكرة الثقافة النخبوية المنزرعة في كيانها فقط، حيث أنه قدّم رؤى مختلفة عن المفهمة الثقافية الحقيقية - في منظوره-، والتي أعطى لها أبعادا ومنطلقات مختلفة.

وتتطلب دراسة المصطلحات الثقافية وقفة متأنية عند آلية التعريف؛ إذ لا يمكن -بأي حال من الأحوال- أن يفتقر الخطاب النقدي المصطلحي إلى هذه الميكانيزمة الفعالة، التي تجلّي المصطلح عبر التنقيب في بنياته التكوينية الأولية-الجينية-، وذلك عبر إرجاع مفهومه إلى جزئياته الأولى المكوّنة له؛ المختلفة مرجعياتها المنبثقة عنها.

بهذا، فإنّ مسألته أضحّت ضرورية بما كان؛ ذاك أنه -أي التعريف- الآلة الأصغر- بتعبير (محمد صابر عبيد)- حيث يقول في شأنه: «يحتاج المصطلح إلى آلة أصغر لها قدرة نوعية على وضع حدود للأشياء التي لا تحتاج إلى جهد مصطلحي كامل، وهي آلة "التعريف" إذ لا يمكن العمل على مساحة معيّنة مهما كانت صغيرة في حقل المعرفة بأنواعها كافة من دون تعريفها تعريفا دقيقا (...)، ويتلّكأ المنهج ولا تعمل منظومة المفاهيم وجهاز المصطلحات على نحو كفو، حين تفتقر الأشياء إلى تعريف دقيق يرفع عمل الرؤية والمنهج والمصطلح إلى أعلى درجة كفاءة ممكنة»³.

وبذلك، فإنّ ل(التعريف) أثرا بارزا في «توضيح معاني المصطلحات المستخدمة في شتى العلوم إذ ييسر التعريف على المتلقي فهم المصطلحات والتعامل معها، وتوظيفها دون لبس أو غموض»⁴.

وبخصوص المحدّد المفهومي لمسمى (التعريف)؛ فإننا نجده -مثلا- في (معجم التعريفات) ل(الشريف الجرجاني) مؤطرا وفق الآتي: «التعريف: عبارة عن ذكر شيء تستلزم معرفته معرفة شيء آخر»⁵.

أما مفهمته في الدرس النقدي المعاصر، فإنها تحمل شكلا من التفصيل، الذي هو بمثابة المظهر الأساس له؛ الأمر الذي وقفنا عنده في مقولة (محمد عزيز ماضي)؛ التي نصّها قوله: «جملة الصفات التي يتألف منها الشيء. هو تعبير مفصّل عن المعرف، و لذا صح ما أطلقه عليه المنطقة العرب من أنه "القول الشارح"»⁶.

ويسوق (زكي نجيب محمود) منظوره النقدي ل(التعريف)؛ وذلك عبر قوله: «هو ما دلّ على جوهر الشيء الذي هو موضوع الحكم؛ أي هو الذي يدلّ على أنّ الشيء هو ما هو عليه (...). إذ التعريف هو ماهية الشيء وكيانه»⁷.

وفيما يتعلّق بالتسميات المدرجة تحت عباءته المفهومية في متصّور المنطقة فإنّ أبرزها (القول الشارح/الحدّ)، وهي القضية المصطلحية التي أشار إليها (محمد ذنون يونس الفتحي) في كتابه (تراثنا الاصطلاحي: أسسه وعلاقاته وإشكالاته)؛ إذ (التعريف) في متصّور المنطقة هو «الطريق الموصل إلى المطلوب، ويسمّى معرفًا وقولا شارحا، ويسمّى حدّا أيضا عند الأصوليين وأهل العربية»⁸.

إنّ العمل بالتعريف قصد الوصول إلى المعنى المنشود، وكشف كمنوية المفهوم المقصود، هو بمثابة الإقرار بوظيفته المركزية، المتمثّلة في إرسائه قاعدة (التمايز/الاختلاف) بين المفاهيم المتشابهة إذ إنّ «بؤرة التعريف هي تحقيق عنصر التمييز وعدم الاختلاط المفهومي»⁹.

كما نقف عند مقولة مهمة له، بما طرح إشكالي لمسألة علائقية التعريف ب(الحدّ/الرسم) عند المنطقة، وهذا ما دلّ عليه قوله: «يفهم من كلام سائر المنطقيين أنّ التعريف أعمّ من الحدّ والرسم، إلا أنّ الأصوليين وأهل العربية لم يفرّقوا بين التعريف والحدّ، فقد أطلقوا كلتا التسميتين على الأخرى لترادفهما عندهم»¹⁰، كما أنّهم -أي المنطقة- يقفون (التعريف) عند شكلين -أو لنقل مسمّين-؛ إذ يطلق على التعريف «الذي يحدّد الشيء بالتعريف الشيعي وسموا التعريف الذي يحاول تحديد "الكلمة" أو الاسم أو الدال، بالتعريف الاسمي»¹¹.

ولا مشاحة في أنّ هناك وشائج قرى بين ثنائية (المفهوم/التعريف)؛ ذلك أنّ «العلاقة بين المفهوم والتعريف، الذي هو الأغلب في الورد علاقة إجمال وتفصيل، فالمفهوم الحاصل من مجرد الاسم علم إجمالي بخلاف المفهوم الحاصل من التعريف فإنّه علم تفصيلي ملخّص»¹².

وبخصوص الشروط التي حدّدها الباحثون للتعريف، فإنّها تتأتى عبر المحدّدات الآتية:

- 1- أن يكون التعريف جامعا مانعا¹³؛ أي أن يجمع كل أفراد المعرف، ويحول دون دخول أفراد أخرى في التعريف.
- 2- أن يخلو التعريف من المجاز ومن العبارة الغامضة، النافرة.
- 3- أن يقارب المعرف إذا استعمل المجاز، وذلك بأن تكون القرينة واضحة.
- 4- أن يميّز بين ماهو ذاتي في المعرف وما هو عرضي له.
- 5- أن يذكر الجنس والفصل، وأن يعطي الأولوية للجنس القريب¹⁴.
- 6- أن يراعي أفضلية المعرف على المعرف في الجلاء والوضوح.
- 7- أنّ الشيء لا يعرف نفسه بنفسه.
- 8- لا يجوز أن يعرف الشيء بألفاظ سالبة في الوقت الذي يكون من الممكن التعريف بألفاظ موجبة.

بناء على ذلك، فإننا سنكشف عن التظاهرات التعريفية المختلفة داخل المدونة النقدية (أوهام النخبة أو نقد المثقف) لـ(علي حرب)، والتي بيّنها الأنماط التعريفية التالية:

أولا: التعريف بالأصل:

يذهب (مصطفى اليقوي) إلى فكرة تماس هذا اللون التعريفي مع ما يعرف بـ(التعريفات التكوينية) التي تعقد أو تربط «الشيء المعني بماض أو بأصل أو بتاريخ. فهي تفسّر الشيء بنشأته وحدوثه وتصف كيفية تكوّنه، وتبين مصدره وكيفية صنعه»¹⁵.

ولعلّ التمثيل النقدي لهذا الشكل التعريفي في كتاب (أوهام النخبة أو نقد المثقف) لـ(علي حرب) يجعلنا منوّهين لنماذج مصطلحية عدّة ومقتضى ذلك الآتي:

سعى الناقد إلى بيان مفهمته لمصطلح (الطليعة)؛ وذلك عبر الركون إلى مصطلحات قديمة أصيلة مرادفة له، ذاك أنّ المتلقي سيجد سهولة في تقبل وفهم المصطلح الجديد، إذا وضع في إطار مفرداتي معلوم مسبقا، وبخصوص نصّ المقولة التعريفية لهذا المسمى الثقافي؛ فإنه ورد وفق الآتي: «مفهوم الطليعة هو الصيغة الحديثة لمفاهيم قديمة كالخاصة والنخبة والصفوة»¹⁶. فهنا، نجد أنّ الثالوث المصطلحي -إن جاز التوصيف- (الخاصة/النخبة/الصفوة) مؤشرات لفظية تدلّ على مبدأ التميّز والاصطفائية المتواشحة مع دال الطليعة؛ والتي تفرد لها المعاجم المعاصرة معنى الفرقة التي

تموضع في المقدمة والواجهة. وبخصوص المؤشر الآخر الدال على التعريف بالأصل فإنه يتمثل في دال (قديمة) والتي تحيل إلى المنبع الأصل، والمرجع الأساس.

أما المصطلح الثقافي الآخر المعرف بهذه الكيفية التعريفية، فإنه يتمثل في المسمى المركب - تركيباً نعتياً- (المثقف الحديث)؛ حيث أشار الناقد إلى خلفيته الفكرية المعرفية؛ والتي يمثلها العصر التنويري؛ والذي سنح بفك قيود الوصاية الكنسية على العقل الأوروبي؛ وإعطاء السلطة للعقل الفردي في التفكير والإنتاج والإبداع الحز. ومن ثمّة نشوء الفكر الحدائثي؛ وهذا ما جعل الناقد قائلاً في هذا الشأن: «لا مرء بأنّ المثقف الحديث (...) هو من دعاة التنوير بالدرجة الأولى، باعتبار أنّ الحدائثة هي ثمرة من ثمار عصر التنوير، كما أنّ التنوير شكّل شعاراً بارزاً من شعارات الحدائثة، وعنواناً دائماً من عناوينها الكبرى»¹⁷.

ومن خلال هذا المعطى النقدي التأسيلي، فإنه يمكننا أن نخلص إلى معادلة مصطلحية تلازمية مقتضاها أنّ المصطلح المركب (المثقف الحديث) يرادف مفهوماً مسمى (المثقف التنويري). كما نقف عند هذا اللون التعريفي في سياق فضح (علي حرب) للمسمى المصطلحي المركب (المثقف العقائدي) إذ إنّ مسألة بيان مفهّمته تتأتى عنده عبر إشارته للمرجع والأصل الذي يتأسس في ضوئه والذي يظلّ مرتكزاً تسمه ما يشبه القدسية؛ ذاك أنّه قاعدة عقديّة لا يقبل تجاوزها أو التشكيك في أطرها المعرفية ونواميسها الفكرية، وهذا ما يفهم عبر المحّد النقدي الآتي: «ما يهّمه هو إعلان نسبه الصريح إلى العقيدة أو إلى تلك الأدلوجة، الأمر الذي يحمله على إنكار الوقائع أو على ممارسة المعاندة والالتفات على الأمور. فأنت تقول مثلاً للمثقف العقائدي: من المهم أن نغيّر طريقة التعامل مع الأفكار وأن نحسن إدارة المقولات من أجل نسج علاقات مختلفة مع الواقع تسهم في تغيير هذا الواقع، فيقول لك: تغيير طريقة التعامل هو خطأ عند صاحب القضية (...)؛ لأنّ إرادة العقيدة تتغلب عنده على إرادة المعرفة ولأنّ حاجسه هو المدافعة والمحافظة لا غير»¹⁸.

وبهذا، فإنّ الإطار العقدي هو من يحكم فكر هذا المثقف؛ والذي لا يجد خلاصاً في الفضاءات الأيديولوجية المعاكسة والمناقضة للمرجع الأصلي المنبثق منه؛ فالعقيدة هي بمثابة الحصن الصلد المكين له.

ثانياً: التعريف بالمرادف:

يبدو أنّ مسمّى (الترادف) قد أحدث إشكالية داخل مجامع التقعيد المصطلحي؛ وهذا ما نوّه إليه (عبد الله محمد العبد) قائلا: «إذا دلّ على مفهوم بأكثر من مصطلح كان التواضع المضاعف منحلاً غير منعقد - في أكثر الأحوال - ووجب التخلّص من ذلك، وتعدّد هذه القضية في أسس قضية التوحيد المعياري للمصطلحات العربية»¹⁹.

وبموازاة هذه الرؤية المستهجنة لقضية المرادف المصطلحي داخل المنظومة المصطلحية للغة العربية فإننا نجد (صبري موسى حمادي) - في مقالته النقدية الموسومة بـ(المصطلح النقدي في الخطاب السردي العراقي) - متعاضداً مع هذا الطرح النقدي؛ وهذا ما يدلّ عليه قوله: «هي نعمة إذا استعملت للتفريق بين المفاهيم المتقاربة، وهي نعمة إذا وضع عدد منها مقابلاً للمفهوم التقني الواحد؛ إذ إنّ ذلك سيؤدّي إلى اختلاف الاستعمال وتعدّده»²⁰.

وبخصوص الشاهد المصطلحي المدرج ضمن هذا الشكل التعرّيفي فإنّه تأتى في مسمّى (المثقف الطليعي)؛ حيث اجتبي الناقد (علي حرب) مرادفين متواشجين دلّالين مع كلمة (الطليعة) والمتمثلين في ملفوظي (النخبة/الصفوة)؛ إذ يحيل معنى الأولى إلى المخترار والمجتبي من الشيء والذي تسمّه ميزات معيّنة متفرّدة، وهي الدلالة ذاتها المعقودة للثانية؛ فهي تحيل إلى الشيء الخالص المنتقى. وبالتالي، فهذان المعنيان متقاربان دلالياً مع دال (الطليعة)؛ والذي يعنى الواجهة المتقدمة، والمقام الأول؛ وهي القضية التي أفصح عنها الناقد بقوله: «قصّدت أنّ المثقف الطليعي، المنتمي إلى النخبة أو إلى الصفوة، يصدر في فكره وسلوكه عن عقلية نبوية رسولية اصطفاوية، تجعله يتعامل مع نفسه بوصفه الأوعى والأعلم والأحقّ، أي أدري من الجماهير بمصالحها، بل أولى منها بنفسها»²¹. كما نجده مؤكّداً لهذه الترادفية بين كلمتي (الطليعة/النخبة) في سياق نصّي آخر وذلك عبر قوله: «ولا عجب في الأمر. فقيام فئة من بين الناس تدّعي تمثيلهم، والدفاع عن مصالحهم بوصفها الطليعة الواعية أو النخبة المؤمنة»²².

ولعلّ الملمح النقدي الذي ارتأينا الإشارة إليه -ههنا- هو تثبيت الناقد للمبدأ الاصطفاوي؛ وربطه بالمرجعية الدينية وهذا ما نستقرّقه من القولين السابقين؛ إذ نلّف في ألفاظ دالة على ذلك؛ وهي: (نبوية/رسولية/المؤمنة).

وعليه، فإنّ معادلته بين هذا الصنف من المثقفين؛ والرسول، هو بمثابة تكريس لطابع الفرادة والتميّز المجتمع عندهما فالأول يحمل رسالة فكرية بشرية عبر تفكير واع ناضج؛ والثاني همّه نشر الرسالة الإلهية عبر وحي سماوي.

ثالثا: التعريف بالوظيفة (الغاية)

تعرف هاته الكيفية التعريفية بأنّها صنف من التعريفات الغائية؛ والتي تلحق الشيء مستقبلا سواء أكان غاية أو استخداما أو نتيجة²³.

ولعلّ العملية الكشفية عن المصطلحات الثقافية المندرجة ضمن هذا اللون التعريفي تجعلنا نؤكّد على زخم توظيفها حيث وقفنا عند أربعة مصطلحات منضوية تحت هذه الخاصية التعريفية؛ والتي وردت وفق صيغتين مصطلحيتين (المصطلح المفرد/ المثقف + المفكر)، و (المصطلح المركّب/ المثقف المستلب + المفكر الكوني)؛ وهذا ما نجليه في الآتي:

ثالثا: المصطلح المفرد

1- المثقف

شكّل مصطلح (المثقف) بؤرة مركزية في هذه المدونة النقدية؛ ودليل ذلك وروده في عوانها؛ فهو مدار المقولات والمفاهيم والتعليقات فيها. ولقد نوّه للمصطلح عبر هذا اللون التعريفي في سياقات نصّية عدّة، ومن أمثله نجد قوله: «المثقف يشغل بحراسة الأفكار. ومعنى الحراسة التعلق بالفكرة كما لو أنّها أقنوم يقدّس أو وثن يعبد»²⁴.

فهنا، نجد الناقد مجليا حقيقة المثقف عبر بيان وظيفته الموكلة له؛ والتي تمثّلت -ههنا- في صيانة الأفكار وحراستها حيث وضّح (علي حرب) دلالة الحراسة؛ والتي قصد بها الانغلاق الكلّي والشامل داخل التراكمات الايديولوجية والمعرفية المخزّنة في ذهنيته؛ والتي يكسوها طابع القدسية -على حدّ وصفه لها-.

ولعلّ إشارته للمثقف عبر هذه الدائرة الفكرية المنغلقة على ذاتها لم تكن شهادة إثباتية لوجوده الفعلي عبرها، فهو يراه شخصا منعزلا ومتوحّدا؛ لأنّه نأى عن وظيفة أساسية موكلة له؛ والمتمثلة في الدفاع عن مبدأ الحرية والانشغال بمستجدات الواقع المعيش؛ وهذا ما أفصح عنه المعطى النقدي الآتي: «ولكن المثقف، إذ يؤكّد على هامشيته أو يمارس عزله وتوحده، إنّما يتخلّى على مهمته الرسولية كمدافع عن الحرية والقضايا العامة، لكي يغدو كاتب يعبر عن تجاربه ومعايشاته»²⁵.

ويواصل الناقد تشريحه لمهمات (المثقف) ووظائفه؛ وذلك في سياق كشفه للأنساق التي وجب عليه الوقوف عندها والتي رآها مقصاة ومهمشة؛ لأنّ اهتمامه كان منصبا على بنيات أخرى؛ وهذا ما نصّ عليه قوله: «المثقف مشغول، دوماً، بالقضايا الكبرى المتعلقة بمصلحة المجتمع ككل، أو بمصير الأمة كلّها، أو بمستقبل البشرية بأسرها. إنّه مع المتعالي والأبدي، ضد الحادث والعرضي. ولهذا فهو يهتم بنسق الأفكار لا بمجريات الوقائع، وينشغل بعظائم الأمور لا بصغائرها ويهمل الهوامش والتفاصيل بقدر ما يقفز فوق واقع الحياة اليومي»²⁶.

فهنا، نجد مسألاً عدسته النقدية صوب مهمات مختلفة للمثقف؛ والتي تندرج ضمن مدارين نقديين مختلفين؛ الأوّل منهما ما هو واقع والذي رأيناه غير مرض بالنسبة للناقد؛ والمتمثّل في الوظائف الآتية: (الاهتمام بنسق الأفكار/الانشغال بالقضايا الكبرى/القفز فوق الواقع اليومي) أمّا الثاني فهو المفترض والمطلوب أساساً، والمتمثّل في المهام الآتية: (النظر في مجريات الواقع/الالتفات إلى صغائر الأمور/النظر في فضاء الهامش المعيب وتفصيله المتعاقبة به).

ويستمر (علي حرب) في تكريس هذا النمط التعريفي أيضاً على مصطلح (المثقف)؛ وذلك انطلاقاً من المعطى النقدي الآتي: «المثقف يهتمّ بمويته الفكرية، أكثر ممّا يهتم بمعرفة الوقائع وصنع الحقائق عبر إنتاج الأفكار وابتكار المفاهيم. بكلام أوضح: ما يهيمه هو إعلان نسبه الصريح إلى هذه العقيدة أو إلى تلك الأدلوجة، الأمر الذي يحمله على إنكار الوقائع، أو على ممارسة المعاندة»²⁷.

فهنا، نلغ فيه معقّباً على الوجهة النقدية التي يسلكها المثقف تجاه الأفكار والحقائق والوقائع؛ إذ بسط وظيفته المنحازة إلى وجهة بديلة عن أخرى فهو -ههنا- يؤكّد على انغلاقه داخل حيز الهوية الايديولوجية؛ وذلك بعيداً عن اهتمامه بوقائع القضايا الحاصلة، وكذا عزوفه عن الابتكار في مجال المتصوّرات والأفكار.

ويستمر الناقد في كشف الصورة الوظيفية عند (المثقف)؛ إذ نلغ فيه موكلاً إيّاه دور المجدّد العصري للتراث الفكري العربي والإسلامي، وكذا تنصيبه كناقد للفكر العقلي عربياً كان أو غربياً؛ وهذا ما أبان عنه قوله الآتي: «المثقف، خصوصاً في العالم العربي، يهتم بتجديد الفكر العربي والتراث الإسلامي، أو يفكر بنقد العقل العربي أو الإسلامي والغربي»²⁸.

ولعلّ اللوحة التعليقية على المقولة الآنفة، والتي ارتأينا التنويه لها -ههنا- هي أنّ التعقيب النقدي على المقولات الفكرية يسبق العملية التحديدية؛ إذ لا يمكن تقديم البديل الفكري أو المعرفي دون النظر النقدي سابق له.

وفي سياق نصّي آخر، فإنّنا نجد مجلّيا وظائف متعدّدة موكلة إلى المثقف؛ والتي تتمثّل أساسا في تقمّصه للفعل القيادي لأفراد مجتمعه وأمثته وكذا حرصه على أن يكون منافحا ومدافعا على مختلف الحقوق والحريات؛ بالإضافة إلى اندماجه الصريح مع مختلف المشاريع التقدّمية والنهضوية، ثمّ جعله محلّ المصلح والمنوّر للذهنيات، وذلك بهدف التغيير والتجديد؛ وهذا ما نستقرّئه من قوله: «وأما الأزمة فأعني بها ما آل إليه وضع المثقف من العزلة والعجز والهشاشة، قياسا على الدور الهام والخطير الذي أراد الاضطلاع به: قيادة المجتمع والأمة، والدفاع عن الحريات والحقوق، والانخراط في مشاريع النهضة والتقدّم، أو التنوير والتحديث، أو الإصلاح والتغيير»²⁹.

ويجدد التنويه إلى أنّ الناقد قد أعطى لثيمتي (الأفكار/التفكير) المكانة السامقة، والمركز الأساس المحوري؛ إذ رأهما مكمّن الوظيفة التي يعتدّ بها المثقف؛ فهو لا ينبجس إلا في ضوء تقديده بهما والاشتغال عبرهما؛ وهذا ما أفصح عنه قوله: « لا مجال أمام المثقف سوى أن يرتدّ على أفكاره بالسؤال والفحص، وأن يتحرّر من أوهامه النخبوية، لكي ينصرف إلى مزاولة مهنته الأصلية التي هي الاهتمام بالأفكار والاشتغال على المعطيات الثقافية، بحثا عن امكانيات جديدة للتفكير تتيح تشكيل عقلانيات أكثر اتساعا، وأشدّ تركيبا»³⁰.

ونختتم هذا النمط التعريفي المخصوص بـ(المثقف) عند (علي حرب) بإشارته إلى فعاليتين نقديتين معيّبتين عنده؛ والتتان تستخدمان عند المفكر أساسا؛ والمتمثّلتين في (الفهم/التشخيص)؛ إذ رأهما الناقد من المهام المركزية الواجب التقيّد بها عند (المثقف)؛ وهذا ما عبّر عنه بقوله: «ولا يفسّر هذه الوضعية البائسة، سوى تحلّي المثقف عن مهمّته الأساسية التي هي الفهم والتشخيص، والتي هي مهمة أهل الفكر على وجه الخصوص؛ أي صياغة العالم مفهوما، أو معالجة المشكلات فكريا»³¹.

بهذا، فإنّنا نخلص إلى أنّ الناقد (علي حرب) قد أعطى لمصطلح (المثقف) العناية الكبرى، والاهتمام الوافر، ولا أدلّ على ذلك جعله دالا مركزيا في عنوان مدوّنته، وكذا تبيانه لمسارات وظيفية اختصّ بها؛ وذلك انطلاقا من الشواهد النقدية المتعدّدة المشار إليها.

2- المفكر

عرض الناقد (علي حرب) مفهّمته لمصطلح (المفكر) انطلاقا من مهمته ووظيفته داخل دائرة الفكر؛ وهذا ما أفصح عنه قائلا: «شاغل المفكر هو أن ينتج معرفة تهم كل ذي فكر، بصرف النظر عن المعطيات التي يشتغل عليها، أو الهوية التي ينتمي إليها، أو اللغة التي يكتب بها»³² وهي الوظيفة ذاتها التي أكدتها مقولة أخرى -والتي ورد بيانها تحت عنوان فرعي وسمه ب(دور المفكر)-؛ والتي ثبت عبرها خاصية الانتاجية الفكرية لديه بالإضافة إلى ضرورة صياغته لجملة الإشكاليات الجديدة، والممارسات الإجرائية المبتكرة؛ والتي تستلزم خلقا لبيئتها ومناخها التواصلية؛ وهذا ما يفهم من المقتطف النقدي الآتي: «إذا كان المفكر هو من يعمل في ميدان التفكير، ويشغل بالأفكار، لكي ينتج أفكارا جديدة، أو يصوغ إشكاليات فكرية مختلفة أو يتتبع ممارسات فكرية جديدة؛ وإذا كانت الأفكار والمفاهيم هي استراتيجيات للتحويل أو طاقات على التشكيل، فإنّ دور المفكر هو أن يكون فاعلا فكريا بالدرجة الأولى بخلقه بيئة للتفكير أو وسطا للفهم أو مناخا للحوار أو مساحة للتواصل»³³.

رابعا : المصطلح الثقافي المركب

تحت عنوان فرعي أسماه ب(المثقف مستلبا) نجده متعرّضا لمسمّى (المثقف المستلب)؛ والذي حدّده تعريفا عبر إشارته لوظيفته؛ وذلك عبر قوله: «وحيال هذه الوضعية التي تسلب المرء إرادته وحرّيته أو هويّته وثقافته، يجد المثقف نفسه أمام خيارين: إمّا أن يسعى بفكره ومواقفه إلى تغيير واقع الحال كما يفعل عادة الدعاة والمنخرطون في مشاريع الإصلاح والتغيير، وإمّا أن يختار العزلة، لكي يمارس هامشيته وغربته إزاء ما يحدث، معتبرا أنّ لا مجال في هذا العالم لترجمة مثله وتحقيق تطلّعاته»³⁴.

كما يمكننا أن نستشف مصطلحا ثقافيا آخر مدرجا ضمن هاته الآلية التعريفية، والمتمثّل في المفكر العالمي -أو الكوني-؛ وذلك عبر الاستدلال بالمقطعة النصّية الآتية: «هو من يعنى بكلّ نتاج فكري، أيّا كانت هويّة منتجه، لكي يعمل على إنتاج أفكار يعنى بها كلّ ذي فكر. وهو بقدر ما ينتمي إلى مجاله الفكري ويعمل بخصوصيته كمفكر، يمارس عالميته ويبلغ كونيته. ذلك أنّ الأفكار الخلاقة والمفاهيم الخارقة تجتاز الحدود المنصوبة بين الهويات لكي تفرض نفسها على كل من يسكنه هوى المعرفة»³⁵.

وفي ختام دراستنا النقدية للتمظهرات التعريفية بالمصطلح الثقافي لدى الناقد (علي حرب) والتي أبانت عن أصناف عدّة له، فإنّنا نلخص إلى بسط النتائج البحثية النهائية المستخلصة والتي نعرضها على النحو التالي:

- راهن (علي حرب) على تفعيل ميكانيزما التعريف بالوظيفة بشكل وافر خلافاً للأنماط التعريفية الأخرى؛ ومرّد ذلك تبيان المهمات المتباينة والعديدة للمثقف؛ وكذا تكريس اللمسة النقدية الخاصة بالناقد؛ وذلك عبر تشريح الأدوار الوظيفية لهذا النموذج النخبوي، وترسيم مساراته الفكرية والمعرفية والمجتمعية.

- لم ينل التعريف بالمرادف الاهتمام الواسع عند الناقد؛ وذلك لنزير شواهد النصّية في هذه المدوّنة؛ وقد يؤوّل ذلك إلى عدم قدرة هذا النوع التعريفي على بيان التفاصيل الدقيقة والجوهرية للمصطلح الثقافي.

- التعريف بالأصل مفتاح علمي مهم للقارئ؛ ذلك أنّه يعود به إلى الحثييات الفكرية والمعرفية العقديّة المرتبطة بالمصطلح الثقافي؛ وهو ما جعل الناقد مراهنا على استخدامه في شواهد التعريفية.

هوامش:

¹ محمد صابر عبيد، تجلّي الخطاب النقدي: من النظرية إلى الممارسة، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة الجزائر، ط1، 2013، ص48-49

² بتول الخنساء، نقد المثقف المعاصر: رؤية علي حرب، دار المعارف الحكمية، بيروت، لبنان، ط1، 2017، ص106.

³ محمد صابر عبيد، تجلّي الخطاب النقدي: من النظرية إلى الممارسة، ص130.

⁴ مصطفى الطاهر حيادة، من قضايا المصطلح اللغوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج1، 2003، ص35.

⁵ الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، (د.ط) (د.ت)، باب التاء، ص56.

- ⁶ محمد عزيز نظمي، المنطق الصوري والرياضي: دراسة تحليلية لنظرية القياس وفلسفة اللغة، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية مصر، (د.ط)، 2003، ص74.
- ⁷ زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط4، 1965، ص117 نقلا عن: العياشي السنوني، مسألة التعريف عند المناطقة المحدثين، مجلة دراسات مصطلحية، فاس، المغرب، ع2، 2002 ص174.
- ⁸ محمد ذنون يونس الفتحي، تراثنا الاصطلاحي: أسسه وعلاقاته وإشكالاته -بحوث في المصطلح اللغوي- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص24.
- ⁹ المرجع نفسه، ص24.
- ¹⁰ المرجع نفسه، ص24.
- ¹¹ العياشي السنوسي، مسألة التعريف عند المناطقة المحدثين، ص173.
- ¹² محمد ذنون يونس الفتحي، تراثنا الاصطلاحي: أسسه وعلاقاته وإشكالاته -بحوث في المصطلح اللغوي- ص16
- ¹³ أورد (محمد ذنون يونس الفتحي) فكرة التعريف الجامع المانع وفق صيغة مصطلحية أخرى هي (الجامعية- المانعية) وهي «كون التعريف جامعا لأفراد المفهوم الاصطلاحي، بحيث لا يشدّ منها شيء، ومانع للأفراد المغايرة لذلك المفهوم من الاختلاط به». محمد ذنون يونس الفتحي، تراثنا الاصطلاحي: أسسه وعلاقاته وإشكالاته -بحوث في المصطلح اللغوي-، ص25.
- ¹⁴ العياشي السنوني، مسألة التعريف عند المناطقة المحدثين، ص177.
- ¹⁵ مصطفى اليعقوبي، أنواع التعريف في تراث طه حسين النقدي، مجلة دراسات مصطلحية، معهد الدراسات المصطلحية، فاس المغرب، ع2، 2002، ص151.
- ¹⁶ علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1998، ص50.
- ¹⁷ المصدر نفسه، ص77.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص89-90.
- ¹⁹ عبد الله محمد العبد، المصطلح اللساني العربي و قضية السيرورة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا (د.ط) 2011، ص147.
- ²⁰ صبري موسى حمادي، المصطلح النقدي في الخطاب السردي العراقي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية العراق، مج9، ع2، 2010، ص6.

- ²¹ علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص50-51.
- ²² المصدر نفسه، ص52.
- ²³ ينظر: مصطفى يعقوبي أنواع التعريف في تراث طه حسين النقدي، ص157.
- ²⁴ علي حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص11.
- ²⁵ المصدر نفسه، ص46.
- ²⁶ المصدر نفسه، ص61.
- ²⁷ المصدر نفسه، ص89.
- ²⁸ المصدر نفسه، ص91.
- ²⁹ المصدر نفسه، ص95-96.
- ³⁰ المصدر نفسه، ص99.
- ³¹ المصدر نفسه، ص102.
- ³² المصدر نفسه، ص91.
- ³³ المصدر نفسه، ص169.
- ³⁴ المصدر نفسه، ص73.
- ³⁵ المصدر نفسه، ص107.